

البَابُ السَّابِعُ

النفخات الثلاث

نفخة الفرع .. نفخة الصعق .. نفخة البعث

في النفخات الثلاث

وأما النفخات في الصور ، فثلاث : نفخة الفزع ، ثم نفخة الصعق ، ثم نفخة البعث ، كما تقدم بيان ذلك في حديث الصور بطوله ، وقد قال مسلم في صحيحه : « في حديث ذكره » عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : ما بين النفختين أربعون ، قالوا : يوماً ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت قال : ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل : قال وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة رواه البخاري من حديث الأعمش . وحديث الذنب وأنه لا يبلى وأن الخلق يبدأ منه ، ومنه يركب يوم القيامة ثابت من رواية أحمد « في إسناده ذكره » ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : كل ابن آدم يبلى ، ويأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ، ومنه يركب .

وقال أحمد : « في حديث ذكره » عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ قال : يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب ، قيل : ومثل ما هو يارسول الله ؟ قال : مثل حبة خردل ، منه تنبتون ، وأما المقصود هنا إنما هو ذكر النفختين ، وأن بينهما أربعين : إما يوماً ، أو شهراً ، أو سنة ، وهاتان النفختان هما والله أعلم نفخة الصعق ، ونفخة القيام للبعث والنشور ، بدليل إنزال الماء بينهما ، وذكره عجب الذنب الذي منه يخلق الإنسان ، وفيه يركب عند بعثه يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون المراد منها ما بين نفخة الفزع ونفخة

الصعق ، وهو الذى يريد ذكره فى هذا المقام ، وعلى كل تقدير فلا بد من مدة بين نفختى الفزع ، والصعق .

وقد ذكر فى حديث الصور أنه يكون فيها أمور عظام ، من ذلك زلزلة الأرض ، وارتجاجها ، وميدانها بأهلها وتكفيها يميناً وشمالاً ، قال الله تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان ما لها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها) ، وقال تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ، وقال تعالى : (إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجَّت الأرض رجا . ويُسَّت الجبال بسا . فكانت هباء منبثاً . وكنتم أزواجا ثلاثة) .

ولما كانت هذه النفخة أعنى نفخة الفزع أول مبادئ القيامة ، كان اسم يوم القيامة صادقاً على ذلك كله ، كما ثبت فى صحيح البخارى ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلايتبايعانه ، ولايطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته ، فلايطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها . » وهذا إنما يتجه على ما قبل نفخة الفزع بأنها الساعة لما كانت أول مبادئها ، وتقدم فى الحديث فى صفة أهل آخر الزمان أنهم شرار الناس ، وعليهم تقوم الساعة .

وقد ذكر إسماعيل بن رافع فى حديث الصور المتقدم : أن السماء تنشق فيما بين نفختى الفزع ، والصعق ، وأن نجومها تتناثر ، وينحسف شمسها وقمرها ، والظاهر والله أعلم أن هذا إنما يكون بعد نفخة الصعق حين : (تبدل الأرض

غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار . وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد . سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) وقال تعالى : (إذا السماء انشقت . وأذنت لربها وحقت ، وإذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت . وأذنت لربها وحقت) وقال تعالى : (فإذا برق البصر . ونخسف القمر . وجمع الشمس والقمر . يقول الإنسان يومئذ أين المفر . كلا لا وزر . إلى ربك يومئذ المستقر . ينأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر . بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره) .

وهذا كله كائن بعد نفخة الصعق ، وأما زلزلة الأرض وانشقاقها بسبب تلك الزلزلة ، وفرار الناس إلى أقطارها ، وأرجائها ، فمناسب أنه بعد نفخة الفزع ، وقبل الصعق ، قال الله تعالى إنخباراً عن مؤمن آل فرعون أنه قال : (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم) وقال تعالى : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأى آلاء ربكما تكذبان) .

عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال : «إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات ، فذكرهن ، إلى أن قال : وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ، تسوق الناس إلى المحشر» وهذه النار تسوق الموجودين في آخر الزمان في سائر أقطار الأرض إلى أرض الشام منها وهي بقعة المحشر ، والمنشر .

ذكر أمر هذه النار وحشرها الناس إلى أرض الشام

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة « في إسناد ذكره » قال : قال رسول الله ﷺ : « تحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين وراهبين ، واثنان على بعير وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا » .

وروى أحمد عن عفان ، عن حماد ، عن ثابت ، عن أنس : أن عبد الله ابن سلام سأل رسول الله ﷺ عن أول أشرط الساعة ؟ فقال : « نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » الحديث بطوله وهو في الصحيح ، وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة « في إسناد ذكره » أن رسول الله ﷺ قال : « قال يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ، صنف مشاة ، وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم ، قالوا : يارسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك » .

وقال الإمام أحمد : « في إسناد ذكره » عن عبد الله بن عمرو ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، تلفظهم أرضوهم ، وتقدرهم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة ، والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف » ورواه الطبراني من

حديث المهلب بن أبي صفرة ، عن عبد الله بن عمرو ، نحوه .
 وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه (البعث والنشور) في إسناد ذكره عن
 أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري ، وتلا هذه الآية : (ونحشرهم يوم القيامة
 على وجوههم عمياً وبكماً وصماً) قال أبو ذر : « حدثني الصادق المصدوق ،
 ﷺ : إن الناس يحشرون يوم القيامة ثلاثة أفواج ، فوج طاعمين كاسين
 راكبين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم ،
 قلنا : قد عرفنا هذين ، فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال : يلقي الله الآفة
 على الظهر حتى لا يبقى ذات ظهر ، حتى أن الرجل ليعطى ^(١) الحديقة المعجبة
 بالشارف ^(٢) ذات القتب » لفظ الحاكم .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون ، ولم يذكر تلاوة أبي ذر
 الآية ، وزاد في آخره (فلا يقدر عليها) وفي مسند الإمام أحمد من حديث
 بهز ، وغيره ، عن أبيه حكيم بن معاوية ، عن جده معاوية بن حيدة
 القشيري ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تحشرون هاهنا وأوماً بيده إلى نحو
 الشام ، مشاة وركباناً (وتجررون) على وجوهكم وتعرضون على الله تعالى وعلى
 أفواهكم القدم فأول ما يعرب عن أحدكم فخذته) وكفه .
 فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا
 من أقطار الأرض إلى محلة المحشر ، وهي أرض الشام ، وأنهم يكونون على

(١) في أحمد (حتى أن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة فيعطيا بالشارف ذات القتب فلا يقدر
 عليها .)

(٢) الشارف من النوق المسنة الهرمة كالشارفة والقتب بكسر القاف وسكون التاء ، ويفتح القاف
 والتاء البرذعة الصغيرة ، والمعنى أن قلة الظهر تحمل صاحب الحديقة الحسنة على بيعها بناقة مسنة عاملة لأن
 ذات القتب هي العاملة .

أصناف ثلاثة ، فصنف طاعمين ، كاسين ، راكبين ، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى ، وهم يعتقبون على البعير الواحد ، كما تقدم في الصحيحين : اثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، إلى أن قال : وعشرة على بعير ، يعتقبونه (٣) من قلة الظهر ، كما تقدم في الحديث ، كما جاء مفسراً في الحديث الآخر ، وتحشر بقيتهم النار ، وهى التى تخرج من قعر عدن ، فتحيط بالناس من ورائهم ، تسوقهم من كل جانب ، إلى أرض المحشر ، ومن تخلف منهم أكلته النار .

وقوله تعالى : (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً) فذلك حين يؤمر بهم إلى النار من مقام المحشر .

وقد ذكر في حديث الصور : أن الأموات لا يشعرون بشيء مما وقع مما ذكر بسبب نفخة الفزع ، وأن الذين استثنى الله منها إنما هم الشهداء ، لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، فهم يشعرون بهولها ولا يفرعون منها ، وكذلك لا يصعقون بسبب نفخة الصعق .

وقد اختلف المفسرون في المستثنى منها على أقوال : أحدها هذا كما جاء مصرحاً به فيه ، وقيل : بل هم جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، وقيل : حملة العرش أيضاً ، وقيل : غير ذلك ، فالله أعلم .
وقد ذكر في هذا الحديث - أعنى حديث الصور - أنه يطول على أهل الدنيا مدة ما بين نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، وهم يشاهدون تلك الأهوال ، والأمور العظام .

(٣) يعتقبونه : يركبونه بالتعاقب ، هذا يعقب هذا وهذا يعقب هذا أى بعده .

نفخة الصعق

فيموت بسبب ذلك جميع الموجودين من أهل السموات ، ومن في الأرض ، من الإنس ، والجن ، والملائكة إلا من شاء الله ، وقيل : حملة العرش ، وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، وقيل الشهداء وقيل غير ذلك .

قال تعالى : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) ، وقال تعالى : (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) وتقدم في حديث الصور أن الله تعالى يقول لإسرافيل : انفخ نفخة الصعق ، فينفخ فيصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله ، فيقول الله تعالى لملك الموت ، وهو أعلم : من بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحي الذي لاتموت ، وبقيت حملة عرشك ، وبقي جبريل ، وميكائيل ، فيأمره الله بقبض روح جبريل ، وميكائيل ، ثم يأمره بقبض أرواح حملة العرش ، ثم يأمره أن يموت ، وهو آخر من يموت من الخلائق .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا من طريق إسماعيل بن رافع « في إسناد ذكره » عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن الله تعالى يقول لملك الموت : (أنت خلق من خلقي ، خلقتك لما رأيت ، فمت ، ثم لاتحيا) ، وقال محمد بن كعب فيما بلغه ،

فيقول . له : (مت موتاً لا تحيا بعده أبداً ، فيصرخ عند ذلك صرخة لو سمعها أهل السموات والأرض لمتوا فزعاً) ، قال الحافظ أبو موسى الدينى : لم يتابع إسماعيل بن رافع على هذه اللفظة ، ولم يقلها أكثر الرواة .
قلت : وقد قال بعضهم فى معنى هذا : مت موتاً لا تحيا بعده أبداً ، فيصرخ يعنى : ثم لا يكون بعد هذا ملك موت أبداً ، لأنه لاموت بعد هذا اليوم ، كما ثبت فى الصحيح : يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح^(٤) فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل النار خلود ولا موت ، ويا أهل الجنة خلود ولا موت « الحديث بطوله » .

فى طى السموات والأرض

قال فى حديث الصور : « فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ، كان آخرها كما كان أولاً طوى السموات ، والأرض ، كطى الكتاب ، ثم دحاهما ، ثم تلقفها ثلاث مرات ، وقال : أنا الجبار ، ثلاثاً ، ثم ينادى : لمن الملك اليوم ؟ ثلاثاً فلا يجيبه أحد ، ثم يقول مجيباً لنفسه : لله الواحد القهار » .

وقد قال الله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى : (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) وقال تعالى : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) وقال تعالى : (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي

(٤) الكبش الأملح : الذى فيه بياض يخالطه سواد .

الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق . يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) .

وثبت في الصحيحين من حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « يقبض الله الأرض ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الجبار ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون » وفيها أيضاً من حديث عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين ، وتكون السموات بيمينه ثم يقول : أنا الملك » .

وفي مسند الإمام أحمد ، وصحيح مسلم ، من حديث عبيد الله بن مقسم ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) . ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده ، يحركها ، يقبل بها ويدبر يمجد الرب سبحانه نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر أنا العزيز ، أنا الكريم ، فونحف^(٥) رسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرق به .

(٥) ونحف المنبر ضربه بيده حتى ظن الناس أن المنبر يخرق من شدة ضربته .

فيما بعد النفختين

قال في حديث الصور ، ويبدل الله الأرض غير الأرض فيسطحها ،
ويسطحها ، ويمدها مد الأديم العكاظي ، لاترى فيها عوجاً ، ولا أمتاً ، ثم
يزجر الله الخلائق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة ، وقد قال الله تعالى : (يوم
تبدل الأرض غير الأرض والسموات ويرزوا لله الواحد القهار) .
وفي صحيح مسلم عن عائشة رضی الله عنها : أن رسول الله ﷺ سئل :
« أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسموات ؟ فقال : في الظلمة دون
الجسر ، وقد يكون المراد بذلك تبديل آخر غير هذا المذكور ، وفي هذا
الحديث ، وهو أن تبدل معالم الأرض فيما بين النفختين ، نفخة الصعق ،
ونفخة البعث فتسير الجبال وتمهد الأرض ، ويبقى الجميع صعيداً واحداً لا
اعوجاج فيه ولا روابي ولا أودية ، قال الله تعالى : (ويستلونك عن الجبال فقل
ينسفها ربى نسفاً . فيذرها قاعاً صفصفاً . لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً) أى لا
انخفاض فيها ولا ارتفاع . وقال تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرمر
السحاب) وقال تعالى : (وسيرت الجبال فكانت سراباً) وقال تعالى :
(وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال تعالى : (وحملت الأرض والجبال
فدكتا دكة واحدة) وقال تعالى : (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة
وحشرناهم فلم يغادر منهم أحداً . وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما
خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) .

في النشور

قال في حديث الصور ، ثم ينزل الله ماء من تحت العرش فتمطر السماء أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقكم اثني عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت كنبات الطرائث ، وهي صغار القثاء أو كنبات البقل ، وتقدم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ومسلم ، قال : « يوم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لبتاً ورفع لبتاً وأول من يسمعه رجل يلبط حوضه فيصعق ولا يسمعه أحد إلا صعق ، ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل ، أو الظل فينبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم » .

وقال البخاري : حدثنا عمر بن حفص بن غياث (في حديث ذكره) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « بين النفختين أربعون » . قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : « آيت ، قالوا : أربعون سنة ؟ قال : آيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال آيت ويبي كل شيء من الإنسان ، إلا عجب الذنب ، فيه يركب الخلق » ورواه مسلم عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به ، مثله ، وزاد بعد قوله في الثالثة : « آيت ، قال : ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال : وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً ، وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة » .

وقال ابن أبي الدنيا : « في حديث ذكره » عن عطاء بن يزيد السكسكي قال : « يبعث الله رجلاً طيبة بعد قبض عيسى بن مريم ، عليه الصلاة والسلام

وعند دنو من الساعة ، فتقبض كل مؤمن ومؤمنة ، وتبقى شرار الناس يتهارجون تهارج^(٦) الحمر ، عليهم تقوم الساعة ، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله على أهل الأرض الخوف ، فترجف بهم أقدامهم ، ومساكنهم فتخرج الجن ، والإنس ، والشياطين إلى سيف^(٧) البحر ، فيمكثون كذلك ما شاء الله ، ثم يقول الجن والشياطين : هلم نلتمس المخرج ، فيأتون خافق^(٨) المغرب ، فيجدونه قد شدد عليه الحفظة ، ثم يرجعون إلى الناس ، فبينما هم كذلك إذ أشرقت الساعة عليهم ، ويسمعون منادياً ينادى : يا أيها الناس (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) قال : فما المرأة بأشد استماعاً من الوليد في حجرها ، ثم ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ، ومن في الأرض ، إلا من شاء الله .

وقال أيضاً (في حديث ذكره) عن فضالة بن عتبة ، عن النبي ﷺ ، قال : (تطلع الساعة عليكم سحابة سواد مثل الترس^(٩) من قبل المغرب ، فما تزال ترتفع ، وترتفع ، حتى تملأ السماء ، وينادى منادٍ : يا أيها الناس إن أمر الله ، قد أتى ، فوالذي نفسي بيده ، إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه ، وإن الرجل ليلوط حوضه فما يشربه ، وإن الرجل ليحلب لقمته^(١٠) ، فما يشرب منها شيئاً ، وقال محارب بن دثار وإن الطير يوم القيامة لتضرب بأذناها وترمي ما في حواصلها من هول ما ترى ، ليس عندها طلبة^(١١) ، رواه

(٦) يتهارجون : يتجامعون ويقع بعضهم على بعض كما تهارج الحمير .

(٧) سيف البحر : بكسر السين : ساحله .

(٨) خافق المغرب : منتهى جهة المغرب .

(٩) معنى مثل الترس : إنها تستر الناس وتغشاهم كما يستر الترس جسد صاحبه ويحتمل أن تكون مثل

الترس في شكلها فتكون قليلة الحيز من أعلاها واسعته من أوسطها مستديرة من أسفلها حتى تطوق الناس .

(١٠) اللقحة : بكسر اللام وسكون القاف : الناقة الحلوب .

(١١) الطلبة : بفتح الطاء وكسر اللام وبكسر الطاء وسكون اللام : الحاجة

ابن أبي الدنيا في الأهوال .

وقال ابن أبي الدنيا « في حديث ذكره » ، سمعت عبد الله بن عمر يقول :
قال رسول الله ﷺ : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة (١٢) فليقرأ » : (إذا
الشمس كورت) و (إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت) رواه
أحمد ، والترمذي ، من حديث عبد الله بن مجير .

في نفخة البعث

وقال الله تعالى : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . وأشرقت
الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم
بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) .
وقال تعالى : (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا . وفتحت السماء فكانت
أبواباً . وسيرت الجبال فكانت سراباً) وقال تعالى : (يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) . وقال تعالى : (فإنما هي زجرة
واحدة . فإذا هم بالساهرة) وقال تعالى : (ونفخ في الصور فإذا هم من
الأجدات إلى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا
محضرون . فالיום لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) .

ذكر في حديث الصور نفخة الصعق ، ووفاة الخلائق كلها ، وبقاء الحى
القيوم الذى لا يموت الذى كان قبل كل شيء ، وهو الآخر بعد كل شيء ، وأنه

(١٢) في الترمذي « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين » .

يبدل السموات والأرض فيما بين التفختين ، ثم يأمر بإنزال الماء الذي تتخلق منه الأجساد في قبورها ، وتتركب في أجدائها ، كما كانت في حياتها ، في هذه الدار من غير أرواح ، ثم يقول الله تعالى : (لتحي حملة عرشي فيحيون ، ويأمر إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ، ثم يقول ليحي جبريل وميكائيل ، فيحيان ، ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نوراً ، والأخرى ظلمة ، فيقبضها جميعاً فيلقيا في الصور ، ثم يأمر إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث ، فينفخ ، فتخرج الأرواح كأنها النحل ، قد ملأت ما بين السماء والأرض ، فيقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمه في الدنيا ، فتدخل الأرواح في الأرض على الأجساد ، فتدخل في الخياشيم ، ثم تمشي في الأجساد مشى السم في اللديغ ، ثم تشق الأرض عنكم ، قال رسول الله ﷺ ، وأنا أول من تشق عنه الأرض ، فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تنسلون (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) حفاة عراة غرلا .

وقد قال الله تعالى : (يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) وقال تعالى : (واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) ، وقال تعالى : (يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير) وقال تعالى : (فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر . خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد متشر . مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) . وقال تعالى : (فإذا نقر في الناقور . فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير) . وقال تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وقال تعالى : (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها

تخرجون) وقال تعالى : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً) وقال تعالى : (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً) .
وقد روى أحمد « في حديث ذكره » ، عن أبي رزين العقيلي ، قال :
أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : « يا رسول الله ، كيف يحيي الله الموتى ؟ قال :
أمرت بأرض من أرضك مجدبة ، ثم مررت بها مخضبة ؟ قال : قلت : نعم ،
قال : كذلك النشور ، وقال : قلت : يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : أن
تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن
يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما ، وأن تحرق بالنار أحب إليك من أن
تشرك بالله ، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله (عز وجل) فإذا كنت
كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك ، كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم
القائم قلت : يا رسول الله ، كيف لي بأن أعلم أني مؤمن ؟ قال : ما من أمتي أو
هذه الأمة عبد يعمل حسنة ، فيعلم ، أنها حسنة ، وإن الله (عز وجل) جازيه
بها خيراً ، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة ، ويستغفر الله (عز وجل) منها ، ويعلم
أنه لا يغفر إلا هو إلا وهو مؤمن ، تفرد به أحمد .

ذكر أحاديث البعث

قال سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء ، عن عبد الله قال : يرسل ريح فيها صر باردة ، زمهرير باردة ، فلا يبقى على الأرض مؤمن إلا لفت بتلك الريح ، ثم تقوم الساعة على الناس ، ثم يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور ، فينفخ فيه ، فلا يبقى خلق في السماء والأرض إلا مات ، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون ، ثم يرسل الله ماء من تحت العرش ، فتنبت جسمانهم ، ولحانهم ، من ذلك الماء ، كما تنبت الأرض من الثرى ، ثم قرأ ابن مسعود : (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) ثم يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور ، فينفخ فيه ، فتنطلق كل نفس إلى جسدها ، فتدخل فيه ، ويقومون ، فيجيئون قياماً لرب العالمين .

ذكر بعث الناس

حفاة عراة غرلاً ، وأول من يكسى في الناس

قال الإمام أحمد « في حديث ذكره » عن عائشة : أن رسول الله ﷺ قال : يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ، فقالت : عائشة : يا رسول الله ، كيف بالعورات ؟ فقال رسول الله ﷺ : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، وأخرجاه في الصحيحين . عن عائشة بنحوه .
وقال الإمام أحمد « في حديث آخر ذكره » قال : سمعت ابن عباس ،

قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة ، فقال : يا أيها الناس ، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً . (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم ، وأنه سيجاء بأناس من أمتي فيعدل بهم ذات الشمال فلاقولن : أصحابي ، فليقالن لي : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ، فلاقولن كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) إلى قوله (العزيز الحكيم) فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، أخرجاه في الصحيحين . مرفوعاً . إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلاً ، ورواه البيهقي من حديث هلال بن حيان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : تحشرون حفاة عراة غرلاً ، فتألت زوجته . أينظر بعضنا إلى عورة بعض ؟ فقال : يا فلانة ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .